آثار توظيف العقل في حياة الإنسان
من وجهة نظر العلاّمة الطباطبائي (رحمه الله)

مرضيه پرنيان (الكاتبة المسؤولة)
طالبة دكتوراه، فرع علوم القرآن والحديث، جامعة فسا الإسلامية الحرة، إيران
marziyeparniyan@gmail.com
الدكتور عليرضا مختاري
أستاذ مساعد، قسم علوم القرآن والحديث، جامعة فسا الإسلامية الحرة، إيران
ar.mokhtari@iau.ac.ir
الدكتور جلال كلانتري
أستاذ مساعد، قسم علم النفس، جامعة فسا الإسلامية الحرة، إيران
j.kalantaree@yahoo.com

The effects of applying reason in the individual and social life of man from the point of view of Allameh Tabatabai (RA)

Marzieh parnian (the writer Responsible)
PhD student of Quran and Hadith Sciences, azad islamic university of Fasa, Iran
Dr. Alireza Mokhtari
Associate Professor, Department of Quranic and Hadith Sciences, azad islamic university of Fasa , Iran
Dr. Jalal kalantaree
Associate Professor, Islamic Azad University, Fasa Branch, Department of Psychology , Iran

الملخص:-

في علم الوجود أو علم تجريد الوجود (الأنطولوجيا) لقد أودع الله قوة تسمى العقل في ضمير الإنسان والذي يشكل بنية الفكر الإنساني، حيث يميز به بين الخير والشر ويدير حياته. العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان بعد أن يفسر كلمة "العقل" ومشتقاتها في عدة آيات يقوم بشرح معني العقل والتعقل وميزاتهما والهدف منهما لكنه لم يكن يسعي إلى تقديم آثار توظيف العقل في الحياة. بعد دراسة مدي استعمال هذه الكلمة في تفسير الميزان يمكن إدراك آثار توظيف العقل في الحياة من وجهة نظره. يكشف هذا البحث على ضوء المنهج الوصفي التحليلي عن الآثار الموجبة لتوظيف العقل. يتم تقديم هذه الآثار في أربع حالات:

١ز علاقة الإنسان بالله؛ والغرض منها هو المواهب الإلهية والثمرات التي يصل إليها الإنسان من خلال التعقل في آيات الله والطاعة عن أوامره.

٢. علاقة الإنسان بنفسه؛ وهي حالات الاستفادة من الحياة الدنيا والاستعداد للحياة الآخرة.

٣. علاقة الإنسان بالآخرين؛ وهي الحالات التي تسبب تفاعلاً اجتماعياً أفضل.

٤. علاقة الإنسان بالطبيعة والعالم؛ وهي الحالات التي تسبب تفاعلاً اجتماعياً أفضل مع الطبيعة والعالم.

الكلمات المفتاحية: العلامة الطباطبائي (رحمه الله)، العقل، آثار العقل.

Abstract:-

In terms of ontology, God has deposited a force called reason in the human body, which forms the foundation of human thought, and despite this, separates good from bad and governs his life. In Tafsir al-Mizan, Allameh Tabataba'i explains the meaning, characteristics and purpose of intellect and rationality by interpreting the word intellect and its derivatives in numerous verses, but he did not intend to present the works of applying intellect in life. By examining the use of this word in Al-Mizan's interpretation, one can understand the effects of applying reason in life from his point of view. This article deals with the descriptive analytical method of extracting the positive effects of applying reason. These works are presented in four categories:

1. Man's relationship with God means the divine gifts and results are given to man by thinking about God's works and thinking about his commands.
2. Man's relationship with himself, things that make the life of this world productive and prepare for the hereafter.
3. Human communication with others, which causes better social interaction.
4. Man's relationship with nature and the world, things that cause better interaction with nature and the world.

Key words: Allameh Tabatabai (r.a.), intellect, Works of intellect.

١ـ المقدّمة:ـ

العقل هو العنصر الأكثر قيمة في الوجود الإنساني بسبب وظيفته الهامّة في حياة الإنسان وتوجيهه وهدايته. يدعو الله الإنسان إلى العقل في العديد من الآيات. بعد دراسة حالات استعمال هذه المفردة ومشتقاتها نرى أنّه قد وردت في القرآن الكريم آثار قيمة في توظيف العقل، تظهر في مختلف مجالات الحياة الإنسانية. إن العثور على هذه الآثار وشرحها وتصنيفها يمكن أن يجعل أمام الإنسان نموذجاً يتماشى وكمال الحياة الفردية والاجتماعية. يهدف هذا البحث إلى الإجابة على هذا السؤال: من وجهة نظر القرآن الكريم ما هي الآثار المادية والروحية لاستخدام الإنسان العقل في حياته الشخصية والاجتماعية، وفي علاقته مع الله ونفسه والآخرين والطبيعة. لشرح هذه المباحث اعتمدنا على تفسير الميزان وبحثنا آراء العلامة الطباطبائي وإن كان هناك العديد من البحوث حول العقل وآثاره إلا أنّنا ما وجدنا دراسة سابقة عن آثار العقل بالتركيز على تفسير الميزان.

٢- منهجية البحث:

إنّ المنهج الوصفي التحليلي هو عملية لتقديم المعلومات النوعية وشرحها وتقريرها. لقد سعينا في هذا البحث إلى فهم بعض آثار توظيف العقل من خلال استخراج وتحليل الآيات القرآنية التي تتحدّث عن توظيف العقل من قبل الإنسان وقراءة تفسير الميزان. من ثَمَّ، إنّ المحور الرئيسي في شرح المفهوم ليس إلا آيات القرآن الكريم.

٣- عملية تحليل البيانات أو المعطيات:

تحليل المواضيع المتعلقة بآيات القرآن الكريم بناء على السؤال الرئيسي وخلال مراحل البحث الشبكي وهي المحاور التي يتم إجراؤها باتباع خطوات مثل:

١. تحديد سؤال البحث

٢. البحث عن المصادر

٣. اختيار المصادر ذات الصلة

٤. تحديد واستخراج الآيات المتعلقة بآثار توظيف العقل في الحياة الناتجة عن تحليل الوثائق.

٤- مفهوم العقل من وجهة نظر العلامة الطباطبائي ﵀:

لقد جاء في تفسير الميزان ذيل تفسير الآية ٢٤٢ من سورة البقرة: الأصل في معنى العقل العقد والإمساك و به سمي إدراك الإنسان إدراكا يعقد عليه عقلا، وما أدركه عقلا، والقوه التي يزعم أنها إحدى القوى التي يتصرف بها الإنسان يميز بها بين الخير والشر والحق والباطل عقلا، ويقابله الجنون والسفه والحمق والجهل باعتبارات مختلفه.

لفظ العقل على ما عرفت يطلق على الإدراك من حيث إن فيه عقد القلب بالتصديق، على ما جبل الله سبحانه الإنسان عليه من إدراك الحق والباطل في النظريات، والخير والشر والمنافع والمضار في العمليات حيث خلقه الله سبحانه خلقه يدرك نفسه في أول وجوده، ثم جهزه بحواس ظاهره يدرك بها ظواهر الأشياء، وبأخرى باطنه يدرك معاني روحيه بها ترتبط نفسه مع الأشياء الخارجه عنها كالإراده، والحب والبغض، والرجاء، والخوف، ونحو ذلك، ثم يتصرف فيها بالترتيب والتفصيل والتخصيص والتعميم، فيقضي فيها في النظريات والأمور الخارجه عن مرحله العمل قضاء نظريا، وفي العمليات والأمور المربوطه بالعمل قضاء عمليا، كل ذلك جريا على المجرى الذي تشخصه له فطرته الأصليه، وهذا هو العقل. لكن ربما تسلط بعض القوي على الإنسان بغلبته على سائر القوى كالشهوة والغضب فأبطل حكم الباقي أو ضعفه، فخرج الإنسان بها عن صراط الاعتدال إلى أوديه الإفراط والتفريط، فلم يعمل هذا العامل العقلي فيه على سلامته، والإنسان يقضي في مواطن المعلومات الباطله بما يقضي، وأنه وإن سمي عمله ذلك عقلا بنحو من المسامحه، لكنه ليس بعقل حقيقه لخروج الإنسان عند ذلك عن سلامه الفطره وسنن الصواب.

وعلى هذا جري كلامه تعالى، فإنه يعرف العقل بما ينتفع به الإنسان في دينه ويركب به هداه إلى حقائق المعارف وصالح العمل، وإذا لم يجر على هذا المجرى فلا يسمى عقلا، وإن عمل في الخير والشر الدنيوي فقط. (الطباطبائي، ١٣٧٤: ٣٥٣).

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (الملك/ ١٠) لو كنا نسمع سماع مَن يطلب الحق، أو نفكر فيما نُدْعى إليه، ما كنا في عداد أهل النار. من وجهة نظر العلامة الطباطبائي إنّ العقل هو أحد أهم عناصر المعرفة الدينية وأريد بالعقل الالتزام بمقتضى ما

يدعون إليه من الحق بتعقله والاهتداء العقلي إلى أنه حق ومن الواجب أن يخضع الانسان للحق. (الطباطبائي، ١٣٧٤: ٢٥٣)

٥- آثار توظيف العقل في حياة الإنسان من وجهة نظر العلامة الطباطبائي ﷺ

بعد دراسة تفسير الميزان، يمكن تحليل آثار توظيف العقل في أربعة أقسام:

١. في علاقة الإنسان بالله: وهي المواهب الإلهية والثمرات التي يصل إليها الإنسان من خلال التعقل في آيات الله والطاعة عن أوامره.

٢. في علاقة الإنسان بنفسه: وهي حالات الاستفادة من الحياة الدنيا والاستعداد للحياة الآخرة.

٣. في علاقة الإنسان بالآخرين: وهي الحالات التي تسبب تفاعلًا اجتماعيًا أفضل.

٤. في علاقة الإنسان بالطبيعة: وهي الحالات التي تسبب تفاعلًا اجتماعيًا أفضل مع الطبيعة والعالم. (قاسمي وهمكاران: ١٣٩٨: ٢١٣- ١٩١)

٥- ١- آثار العقل في علاقة الإنسان بالله:

لتوظيف العقل في علاقة الإنسان بالله آثار متعددة منها: فهم الحقائق وفهم الأحكام الدينية والعمل بها والاهتداء وإدراك القدرة الإلهية والنجاة من ضلالات الدنيا والآخرة. وفي هذا الصدد نستعرض بعض آيات القرآن الكريم مع التركيز على تفسير الميزان.

٥- ١- ١- فهم الحقائق:

يعتقد العلامة الطباطبائي أنّ أحد آثار العقل هو فهم الحقائق وإنّ أحد عناصر فهم الحقائق هو إدراك مفاهيم الآيات الإلهية، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف/ ٢) و ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الزخرف/ ٣)، أنزل الله القرآن باللغة العربية. يقول العلامة الطباطبائي في هذه الآية: فمعنى الآية - والله أعلم - انا جعلنا هذا الكتاب المشتمل على الآيات في مرحلة النزول ملبسا بلباس اللفظ العربي محلى بحليته ليقع في معرض التعقل منك ومن قومك أو أمتك، ولو لم يقلب في وحيه في قالب اللفظ المقرو أو لم يجعل عربيا مبينا لم يعقل قومك ما فيه من اسرار الآيات بل اختص فهمه بك

لاختصاصك بوحيه وتعليمه. وفي ذلك دلالة ما على أن لألفاظ الكتاب العزيز من جهة تعينها بالاستناد إلى الوحي وكونها عربية دخلا في ضبط اسرار الآيات وحقائق المعارف، ولو أنه اوحى إلى النبي ﷺ عناه وكان اللفظ الحاكي له لفظه ﷺ كما في الأحاديث القدسية مثلا أو ترجم إلى لغة أخرى خفى بعض اسرار آياته البينات عن عقول الناس ولم تنله أيدي تعقلهم وفهمهم. (الطباطبائي، ١٣٧٤: ٥٩)

من جهة أخرى، قال تعالى في سورة الروم: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ (الروم/ ٣٠) فتوجَّه - أيها الرسول - أنت ومن معك للدين الذي وجَّهك الله إليه، مائلًا عن جميع الأديان إليه.

أي أنه بقبول الإسلام وفهم قواعده وأركانه يكون العقل مستعداً لقبول الأنوار الإلهية وفهم أسرار الحقّ فبالتالي إنّ التعقّل في الإسلام ومعرفته هو ضرورة الوصول إلى فهم حقيقة الأشياء والأسرار الإلهية التي تعكس فلسفة الحياة الدنيوية للإنسان. (مدرس وحيد: ١٢٩؛ الهاشمي الخوئي، ١٣٥٨: ٢٥٨؛ ابن ميثم، ١٣٦٢: ٣١)

٥- ١- ٢- فهم الأحكام الدينية:

إنّ تأثير آخر لتوظيف العقل هو أنّ الإنسان يفهم الأحكام الدينية ويعمل بها. يقول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة/ ٢٤٢) مثل ذلك البيان الواضح في أحكام الأولاد والنساء، يبيِّن الله لكم آياته وأحكامه في كل ما تحتاجون إليه في معاشكم ومعادكم؛ لكي تعقلوها وتعملوا بها. يقول العلامة الطباطبائي في هذه الآية الكريمة: خلقه الله سبحانه خلقه يدرك نفسه في أول وجوده، ثم جهزه بحواس ظاهره يدرك بها ظواهر الأشياء، وبأخرى باطنه يدرك معاني روحيه بها ترتبط نفسه مع الأشياء الخارجه عنها كالإراده، والحب والبغض، والرجاء، والخوف، ونحو ذلك، ثم يتصرف فيها بالترتيب والتفصيل و التخصيص و التعميم، فيقضي فيها في النظريات و الأمور الخارجه عن مرحله العمل قضاء نظريا، و في العمليات و الأمور المربوطه بالعمل قضاء عمليا، كل ذلك جريا على المجرى الذي تشخصه له فطرته الأصليه، و هذا هو العقل.

فإنّ القرآن يعرف العقل بما ينتفع به الإنسان في دينه و يركب به هداه إلى حقائق

المعارف وصالح العمل، وإذا لم يجر على هذا المجرى فلا يسمى عقلا، وإن عمل في الخير والشر الدنيوي فقط. فقد تبين من جميع ما ذكرنا:أن المراد بالعقل في كلامه تعالى هو الإدراك الذي يتم للإنسان مع سلامه فطرته وليس التعقل المتأثر بالغرائز والأميال النفسانية. (الطباطبائي، ١٣٧٤: ٣٧٥)

٥- ١- ٣- الاهتداء:

من آثار العقل الأخرى في العلاقة بين الإنسان والله هو منع الإنسان من الضلال وتوجيهه نحو طريق الإرشاد. يقول الله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الفرقان/ ٤٤) أم تظن أن أكثرهم يسمعون آيات الله سماع تدبر، أو يفهمون ما فيها؟ ما هم إلا كالبهائم في عدم الانتفاع بما يسمعونه، بل هم أضل طريقًا منها. يقول العلامة الطباطبائي: والترديد بين السمع والعقل من جهة أن وسيلة الانسان إلى سعادة الحياة أحد أمرين إما أن يستقل بالتعقل فيعقل الحق فيتبعه أو يرجع إلى قول من يعقله وينصحه فيتبعه أن لم يستقل بالتعقل فالطريق إلى الرشد السمع أو عقل. وإنما تنفي عن الكفار اتباع الحق الذي يهدي إليه عقل الانسان الفطري لاحتجابه باتباع الهوى، وتشبههم في ذلك بالانعام التي لم تجهز بهذا النوع من الادراك.(الطباطبائي، ١٣٧٤: ٣٢١)

٥- ١- ٤- فهم القدرة الإلهية:

تشير العديد من آيات القرآن الكريم إلى قدرة الله اللامحدودة. العظمة والاتساع وكثرة ظواهر الكون دليل واضح على قدرة الله اللامحدودة. يعتقد العلامة الطباطبائي أنّ عقل الإنسان عليه أن يخطو نحو معرفة الله وآيات القدرة الإلهية لكي يدرك عظمة قدرة الله تعالى. (الطباطبائي، ١٣٧٤: ٣٢١) على سبيل المثال، إنّ مظهراً من مظاهر قدرة الله هو إحياء الموتي ومراحل خلق الإنسان وإنّ شاهد المثال لهذا البحث هو الآية ٧٣ من سورة البقرة والتي تدل على قدرة الله اللا محدودة على كل شيء وهي حجة على مسألة المعاد أيضاً.

﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة/ ٧٣) كذلك يُحيي الله الموتى يوم القيامة، ويريكم - يا بني إسرائيل- معجزاتِه الدالَّةَ على كمال قدرته تعالى؛ لكي تتفكروا بعقولكم.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ (المؤمنون/ ٦٧)

تفعلون ذلك مستكبرين على الناس بغير الحق بسبب بيت الله الحرام، تقولون: نحن أهله لا نُغْلَب فيه، وتتسامرون حوله بالسيِّئ من القول.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (الحج/ ٥) في هذه الآية الكريمة، يشرح الله المراحل السبعة لخلق الإنسان ويقوم بتبيين تصور خلق الإنسان من التراب وفترة الجنين وفترة الحياة في الدنيا إلى الموت في سبعة مراحل لكي يشير إلى قدرة الله تعالى وربوبيته من جهة وتظهر مواهبه ونعمه على عباده. (الطباطبائي، ١٣٧٤: ٥١٥)

من ثَمّ، إنّ من يعقل في حياته ويتعلّم أحكام الإسلام وشرائعه ويفهم أوامر الدين ويعمل بها فهو ينجو من الضلال وعبادة الدنيا ويقاد سبيل الهداية فيعرف الله ويدرك عظمة قدرة الله وفي نهاية المطاف، سيخلص من ضلالات الدنيا والمصائب التي يصاب بها بسبب عدم التعقل في الدنيا والآخرة.

٥- ٢- آثار العقل في علاقة الإنسان بنفسه:

إذا استعان الإنسان بعقله في حياته فهو يستطيع أن يحصل على الآثار العديدة منها: قدرة التمييز بين الحق والباطل، وكبح هوي النفس، تدبير الأمور، الإدراة في الحياة الدنيوية والاستعداد للآخرة.

٥- ٢- ١- قدرة التمييز بين الحق والباطل:

إنّ عقل الإنسان يستطيع أن يميّز بين الحق والباطل وينجي الإنسان من الضلالة والشقاوة من خلال سوقه نحو الهداية والسعادة. يقول الإمام علي ﵇ في الرسالة السادسة من نهج البلاغة: إذا استعين بالعقل فالسبيل إلى الهداية واضح وإلا فالطريق ليس بواضح كما أنّه قال في الخطبة ١٦١: «فَاحْذَرُوا، عِبَادَ اللّهِ، حَذَرَ الْغَالِبِ لِنَفْسِهِ، الْمَانِعِ لِشَهْوَتِهِ،

النَّاظِرِ بِعَقْلِه؛ فَإِنَّ الأَمْرَ وَاضِحٌ، وَالْعَلَمَ قَائِمٌ، وَالطَّرِيقَ جَدَدٌ وَ السَّبِيلَ قَصَدٌ» أي إنّ أمر الدنيا والآخرة واضح والدنيا فان والآخر باق وإنّ علم الشريعة والدين باق ومن قصده وصل إليه وبه يهدي وإنّ السبيل نحو الجنة سهل ومستقيم وعلي العاقل أن يخطو هذا الطريق لكي يصل إلى ما يحبه ويرضاه. (الموسوي، ١٣٧٦: ٥٥)

يقول الله تعالى في الآية ١٥١ من سورة الأنعام: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام/ ١٥١).

تبين الآيات المحرمات العامة التي لا تختص بشريعة من الشرائع الإلهية، وهي الشرك بالله، وترك الإحسان بالوالدين، واقتراف الفواحش، وقتل النفس المحترمة بغير حق ويدخل فيه قتل الأولاد خشية إملاق واقتراب مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن وعدم إيفاء الكيل والميزان بالقسط، والظلم في القول، وعدم الوفاء بعهد الله، واتباع غير سبيل الله المؤدي إلى الاختلاف في الدين. فمجرد الاعتصام بعصمة العقل في الجملة والخروج عن خالصة الأهواء يكشف للإنسان عن حرمتها وشآمتها على الإنسان بما هو إنسان، و لذلك ختمت بقوله: "ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون". (الطباطبائي، ١٣٧٤: ٥٢١) فبما أنّ العاقل ينظر إلى الدنيا نظر العقل والبصيرة فهو يجد نفعه وضرره. (مدرس وحيد، ٣٦٧) فبالتالي، إنّ النتيجة من توظيف العقل، هي الوصول إلى قدرة التمييز.

٥- ٢- ٢- كبح هوي النفس:

إنّ من أحد الآثار الأخرى لتوظيف العقل في علاقة الإنسان بنفسه هو كبح هوي النّفس. من وجهة نظر العلامة الطباطبائي، إنّ تزكية النّفس وكبح الأهواء النفسانية وترك الملذات الجسدية والرياضة موقتة كانت أم مستمرة، تظهر القدرة العجيبة للنفس. (الطباطبائي، ١٣٧٤: ١٨١)

إن الدنيا مكان نزاع العقل مع الرغبات الجسدية، وقوة العقل هي الحصن المنيع الذي ينقذ الإنسان من الضلال والشقاوة، لأنّ الإنسان إذا ابتعد عن محوره الأساسي وحلّت محله الشهوات يتدمر ويفقد خصوبته ويصبح فاضحاً. (الموسوي، ١٣٧٦، ج٢: ٢٣٦) أمّا إذا غلب العقل على هوي النّفس فسيصل الإنسان إلى السعادة والفوز. (الآمدي، ١٣٦٦: ١٦٧).

٥-٢-٣- تدبير الأمور:

إنّ من إحدي ثمرات العقل هي تدبير الأمور والحزم؛ والتدبير في أمر ما يعني التأمّل في مصلحته والنظر إلى مغبته. (دخيل، ١٣٦٤: ٥٥) من ثَمّ، إنّ تدبير تصرّف العقل العملي بشكل صحيح فهو ثمرة العقل. (ابن ميثم، ١٣٦٢: ٢٩٩؛ الكاشاني، ١٣٦٦: ٦٠٥؛ حسين الشيرازي، ١٣٧٨: ٣١٤).

يقول العلامة الطباطبائي في تفسير الآيات القرآنية حول التدبر والمدبرات: المراد من التدبير هو أخذ الشيء بعد الشيء، أي ترتيب الأشياء ونظمها حيث ينتج من كل واحد الغرض المطلوب ولا يحصل التزاحم والاختلال يعني أنّ الله قد رتب أجزاء العالم في أفضل وأقوى ترتيب، بحيث يتحرك كل شيء نحو غايته المرغوب فيها، وكلها تتجه نحو الغاية الكلية للعالم، وهي العودة إلى الله. إنّ الله يدبّر أمور الكون من موقع العرش الإلهي، وهو موقع تدبير أمور الكون، بحيث يتحقق في الكون كل ما هو ضروري وجدير بالحكمة الإلهية، فلا يحدث شيء خارج عن مشيئة الله وإرادته؛ لأنّ الله لديه خطة دقيقة وكاملة لنهاية كل شيء فهو مسجل في اللوح المحفوظ ولذلك فإن الإنسان لديه القدرة على التفكير العميق بقلبه (الأعراف/١٧٩، التوبة/ ١٢٧) وإذا تعقّل الشخص وتفكر فهو قادر أن يكون مدبّراً وأن يتمتع بعقله لإدارة الحياة والحصول على السعادة من خلال الحزم. من أهمّ آثار التدبير السياسة الحسنة في إدارة المجتمع. من وجهة نظر التعاليم الإسلامية، يجب على النظام الإسلامي أن يعمل بالعقلانية. إنّ مقتضي العقلانية هو التفكر والبصيرة ودراسة العواقب القريبة والبعيدة لكل فعل ورد فعل؛ لذلك، ينبغي للمسؤولين أن يكونوا أكثر اجتهادا في أداء العمل. عن الإمام علي ﵇: حسنُ التَّدبيرِ وتَجَنُّبُ التَّبذيرِ من حُسنِ السِّياسَةِ. (الآمدي، ١٣٦٦: ١٦٧)

٥- ٣- آثار العقل في علاقة الإنسان بالآخرين:

إنّ توظيف العقل في العلاقة مع الآخرين يعزز مهارات الفرد الاجتماعية حيث إنّ النبي الأكرم ﷺ يعرّف جميع أهداف رسالته في إكمال مكارم الأخلاق. إنّ العقل باعتباره حجة باطنية يجب أن يخطو نحو وظيفة مناسبة مع هدف الرسول هذا، وإنّ الإنسان من خلال التحلّي بمكارم الأخلاق يمكن أن يصل إلى الكمال الإنساني المرغوب فيه. ومن ثمرات توظيف العقل في العلاقة مع الآخرين هي: الاتعاظ والاعتبار بمن مضي، والحفاظ على الأسرار والتجارب

والاتعاظ منها، والصداقة مع الآخرين وإرساء العدالة الاجتماعية والإحسان والتعاون الاجتماعي وفي هذا الصدد، نقوم بتفسير بعض الآيات القرآنية اعتماداً على تفسير الميزان:

١. الاتعاظ والاعتبار بمن مضي:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج/ ٤٦).

﴿وَلَقَد تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (العنكبوت/ ٣٥).

في هذه الآيات يريد الله من الناس أن يتعظوا ويعتبروا من القري والمدن التي خربت ومن آثار الأمم القديمة التي تركت ويدفعهم إلى التفكر والتعقّل بسبب هلاكهم ولكي ينتبهوا بأنّ هلاكهم كان بسبب شركهم بالله وإعراضهم عن آيات الله والاستكبار أمام الحق وتكذيب الرسل، حينئذ يكون لهم قلب يعقلون به، وإن هذا العقل والقلب يمنعهم من الشرك والكفر. (الطباطبائي، ١٣٧٤: ٥٤٩)

٢. الحفاظ على الأسرار:

ومن آثار العقل أيضاً الحفاظ على الأسرار، يقول الإمام علي عليه السلام: صدر العاقل صندوق سرّه. (حكمت/٦) إنّ العاقل من خلال كتمان أسراره والحفاظ عليها يدفع عن نفسه الفساد والشرّ الناتج عنها فبالتالي إنّ الحفاظ على الأسرار في الشؤون الفردية والاجتماعية هو ضرورة عقلية. (مكارم، ١٣٨٦: ٥٩) كما أشار إليه الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (آل عمران/ ١١٨)، لقد تمّ التأكيد في هذه الآية على الحفاظ على أسرار المجتمع وعدم اتخاذ الأخلاّء والأصفياء من غير المؤمنين وإنّ الحفاظ على الأسرار أمر ينبني على العقل ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

٣. العدل الاجتماعي:

والعدل يعني المساواة وأن يعامل كل فرد في المجتمع معاملة تستحق له والأمر بالعدالة هذا، من الله إلى جميع البشر، وهذا يعني العدالة الاجتماعية.

٤- الإحسان:

والإحسان على ما فيه من إصلاح حال من أذلته المسكنة والفاقة أو اضطرته النوازل، وما فيه من نشر الرحمة وإيجاد المحبة يعود محمود أثره إلى نفس المحسن بدوران الثروة في المجتمع وجلب الأمن والسلامة بالتحبيب.

و إيتاء ذي القربى أي إعطاء المال لذوي القرابة و هو من أفراد الإحسان خص بالذكر ليدل على مزيد العناية بإصلاح هذا المجتمع الصغير الذي هو السبب بالحقيقة لانعقاد المجتمع المدني الكبير.

٥. النهي عن الفحشاء والمنكر والبغي:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل/ ٩٠).

الفحش والفحشاء والفاحشة لعل الأصل في معناه الخروج عن الحد فيما لا ينبغي والمنكر ما لا يعرفه الناس في مجتمعهم من الأعمال التي تكون متروكة عندهم لقبحها أو إثمها والبغي الأصل في معناه الطلب و كثر استعماله في طلب حق الغير بالتعدي عليه فيفيد معنى الاستعلاء والاستكبار على الغير ظلما وعتوا، وهذه الثلاثة أعني الفحشاء والمنكر والبغي والنهي إنما تعلق بها بما لها من العناوين لما أن وقوع الأعمال بهذه العناوين في مجتمع من المجتمعات يوجب ظهور الفصل الفاحش بين الأعمال المجتمعة فيه الصادرة من أهله فينقطع بعضها من بعض ويبطل الالتيام بينها و يفسد بذلك النظم و ينحل المجتمع في الحقيقة. (الطباطبائي، ١٣٧٤: ٣٣٠-٣٣٣)

٥-٤- آثار العقل في العلاقة مع الطبيعة والعالم:

إن سعادة الإنسان وكماله ممكن من خلال الحياة الدنيوية وبمساعدة العوامل الطبيعية بالنسبة للبشر، لن يكون هناك خيار آخر سوى التواصل بشكل مدروس مع الطبيعة والاستفادة من المواهب الطبيعية. بالإضافة إلى تلبية الاحتياجات التعليمية، تؤثر هذه العلاقة على جوانب مختلفة من الوجود الإنساني. (محمد نظير عرفاني، ١٣٩٥، ٥-٣٣)

إذا استخدم الإنسان عقله في علاقته بالطبيعة والعالم، ظهرت آثار كثيرة بالنسبة له منها:

التخلّي عن الدنيا وإحياء القلوب الميتة، والاتّعاظ بالموت والقيامة، وإصلاح الحياة الدنيا، وتوفير الحياة الطيبة، وإدراك جوهر وجود الله، وإدراك اختلاف إرادة (إختلاف الإرادة يعني الاختلاف في الأسباب التي تؤدّي إلى خلق الحصاة والمطر وما إلى ذلك) مسبب الأسباب، وخلق العالم على أساس المصلحة، وإثبات وحدانية الله وما إلى ذلك. في هذا الصدد نقوم بدراسة بعض الآيات القرآنية بالاعتماد على تفسير الميزان:

١. التخلّي عن الدنيا:

يولد الإنسان في حضن الطبيعة والعالم المادي ومن لحظة الحياة الأولى، له علاقة وثيقة بالطبيعة والمحسوسات ويجرّب الملذات المادية المختلفة عدة مرات ويأنس بها وأحياناً يحبّها حبّا شديداً بحيث ينكر أي حقيقة ما عدا ذلك؛ لذلك، إذا نظر الإنسان إلى الدنيا نظر المتعظ، فإن الدنيا ستمنحه الكثير من العبر. إنّ العقلاء، بسبب عقولهم السليمة، هم في مأمن من الدنيوية وسوء سلوكها، وبالتالي فإنّهم لا يعلقون في الدنيا ولايفتنون بملذاته العابرة.

يقول الله في الآية ١٧ من سورة الحديد: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الحديد/ ١٧).

كما يحيي المطر الأرض الميتة، فإن الذكرى الإلهية تحيي القلوب الميتة وتخشع أمام الأوامر الإلهية؛ لذلك يعبر الله عن آياته في مكان الخلق حتى يفكر الناس. (الطباطبائي، ١٣٧٤: ٣٣٢)

٢. الاتعاظ من الموت والقيامة:

كل نفس ذلئقة الموت وفي النهاية إنّ الموت والقيامة نصيب الإنسان من ثَمّ، إذا تعقّلتم واجتنبتم عن الجهل فبإمكانكم الاتعاظ منه. من إحدي آيات القيامة هي اختلاف الليل والنهار وخلق الفصول وآيات إحياء الموتي. يقول الله في الآية ٥ من سورة الجاثية: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الجاثية/٥).

وقوله: (وتصريف الرياح) أي تحويلها وإرسالها من جانب إلى جانب، لتصريفها فوائد عامة كثيرة من أعمها سوق السحب إلى أقطار الأرض وتلقيح النباتات ودفع العفونات

والروائح المنتنة. وقد خص كل قبيل من الآيات بقوم خاص فخصت آية السماوات الأرضبالمؤمنين وآية الانسان وسائر الحيوان بقوم يوقنون، وآية اختلاف الليل والنهار والأمطار وتصريف الرياح بقوم يعقلون.وقوله: ﴿آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي يميزون بين الحق والباطل والحسن والقبيح بالعقل الذي أودعه الله سبحانه فيهم.ولعل الوجه في ذلك أن آية السماوات والأرض تدل بدلالة بسيطة ساذجة على أنها لم توجد نفسها بنفسها ولا عن اتفاق وصدفة بل لها موجد أوجدها مع ما لها من الآثار والافعال التي يتحصل منها النظام المشهود فخالقها خالق الجميع ورب الكل، والانسان يدرك ذلك بفهمه البسيط الساذج. (الطباطبائي، ١٣٧٤: ٢٣٨)

٣. توفير الحياة الطيبة:

المصالح الإنسانية هي محور توجه الطبيعة وكفاءتها. تؤكد العديد من الآيات في القرآن على أنّ الظواهر المختلفة ومظاهر الوجود في نظام الطبيعة تم تصميمها وخلقها لتوفير حاجات الإنسان المادية والروحية والجسدية والمعرفية. (هاشمي، ١٣٢٨)

منها: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الرعد/ ٤).

وأيضاً: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (النحل/ ١٢) وسَخَّر لكم الليل لراحتكم، والنهار لمعاشكم، وسَخَّر لكم الشمس ضياء، والقمر نوراً ولمعرفة السنين والحساب، وغير ذلك من المنافع، والنجومُ في السماء مذللاتٌ لكم بأمر الله لمعرفة الأوقات، ولمعرفة وقت نضج الثمار والزروع، والاهتداء بها في الظلمات. إن في ذلك التسخير لَدلائلَ واضحةً لقوم يعقلون عن الله حججه وبراهينه.

كما تكلّم الله في الآية ١٧ من سورة النحل عن تأمين الحياة الطيبة من النعم الإلهية: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (النحل/ ٦٧).

ومن نِعَمنا عَليكم ما تأخذونه من ثمرات النخيل والأعناب، فتجعلونه خمراً مُسْكراً - وهذا قبل تحريمها- وطعاماً طيباً. إن فيما ذكر لَدليلًا على قدرة الله لِقومٍ يعقلون البراهين فيعتبرون بها.

ومن دلائل قدرته سبحانه أن يريكم البرق، فتخافوا من الصواعق، وتطمعوا في الغيث، وينزلَ من السحاب مطراً فيحيي به الأرض بعد جدبها وجفافها، إن في هذا لدليلًا على كمال قدرة الله وعظيم حكمته وإحسانه لكل مَن لديه عقل يهتدي به. (الطباطبائي، ١٣٧٤: ٢٣٨) كالآية ٢٤ من سورة الروم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الروم/ ٢٤).

لذلك، يؤدي التفكير في المخلوقات الإلهية إلى فهم عظمة وقوة القدرة الإلهية وإثبات وجود الله ووحدانيته.

النتيجة والاقتراحات:

يوصي الله في العديد من آيات القرآن، البشر لاستخدام العقل والتعقل في الأمور ويقدم آثار إيجابية لذلك. بعض هذه الآثار مباشرة وبعضها الآخر غير مباشر في هذا البحث، تمّت دراسة آثار استخدام العقل غير المباشرة من تفسير الميزان. يتمّ تقديم هذه الآثار في أربعة عناوين:

١. آثار العقل في علاقة الإنسان بالله: وهي المواهب الإلهية والثمرات التي يصل إليها الإنسان من خلال التعقل في آيات الله والطاعة عن أوامره وهي تشمل: فهم الحقائق والأحكام الدينية والعمل بها والاهتداء وإدراك القدرة الإلهية والنجاة من الضلالات.

٢. آثار العقل في علاقة الإنسان بنفسه: وهي حالات الاستفادة من الحياة الدنيا والتمتع بها للحياة الآخرة وهي تشمل: قدرة التمييز بين الحق والباطل، وكبح هوي النفس، تدبير الأمور، الإدراة في الحياة الدنيوية والاستعداد للآخرة.

٣. آثار العقل في علاقة الإنسان بالآخرين: وهي الحالات التي تسبب تفاعلًا أفضل مع الآخرين في الحياة الاجتماعية وتقرب الإنسان من بعضهم البعض. هذه الآثار هي: تعزيز المهارات الاجتماعية، والاتعاظ والاعتبار بمن مضي، والحفاظ على الأسرار والتجارب والاتعاظ منها، والصداقة مع الآخرين والعدالة الاجتماعية والتجنب عن الفحشاء والمنكر.

٤. آثار العقل في علاقة الإنسان بالطبيعة والعالم: وهي الحالات التي تسبب تفاعلًا اجتماعيًا أفضل مع الطبيعة والعالم لكي يستفيد الإنسان من خلالها أن يصل إلى سعادة الدنيا والآخرة. تشمل هذه الآثار: التخلّي عن التعلق غير المتعارف بالدنيا وإحياء القلوب الميتة، والاتّعاظ بالموت وحياة الطبيعة، وإصلاح الحياة الدنيا، وتوفير الكسب الحلال وتفضيله، فهم التوحيد، وإدراك اختلاف إرادة مسبب الأسباب ومصلحة خلق العالم.

بناء على ذلك، العقل هو قوة باطنية لها طابع التمييز والتنوير والتوجيه وهو قابل للتربية والتعزيز.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم.

١. ابن ميثم البحراني، ميثم بن على. ١٣٦٦ ش. شرح نهج البالغه. بي جا: دفتر نشرالكتاب.
٢. الآمدي، عبدالواحد بن محمد..١٣٧٨ غررالحكم و دررالكلم (كلمات قصار امير المؤمنان عليه السالم.) هاشم رسولي. دفتر نشر فرهنگ اسالمي. تهران.
٣. الحسيني الشيرازي، سيدمحمد. توضيح نهج البالغه. تهران: دار تراث الشيعه.
٤. دخيل، على محمد على.١٣٦٤. شرح نهج البالغه. بيروت: دارالمرتضي.
٥. الطباطبايي، سيد محمدحسين.١٣٧٤. ترجمه تفسير الميزان. سيدمحمدباقر موسوي همداني. تهران:اميركبير.
٦. عرفاني، محمدنظير، ، ١٣٩٥ ارتباط انسان و طبيعت از منظر قرآن، مطالعات قرآن پژوهي نور وحي .بي‌جا: دارالمحجه البيضا.
٧. قاسمي، حامد، مرتضى؛ معارف، مجيد..١٣٩٨ آثار به كارگيري عقل در نهج البلاغة. پژوهشنامه علوي .شماره ١٠٢١٣- ١٩١.
٨. الكاشاني، ملا فتح اله..١٣٧٨ تنبيه الغافلين وتذكره العارفين. تهران: پيام حق.
٩. مدرس وحيد، احمد. شرح نهج البلاغة. قم: بي‌تا.
١٠. مكارم شيرازي، ناصر..١٣٨٦ پيام اميرالمؤمنين ﵇. تهران: دارالكتب االساليه.
١١. الموسوي، سيدعباس. ١٣٧٦ق. شرح نهج البلاغة. بيروت: دارالرسول االكرام.
١٢. هاشمي، سيدحسين.١٣٢٨.انسان و طبيعت در قرآن. فصلنامه پژوهش هاي قرآني. شماره ١٠٧.
١٣. الهاشمي الخوئي، ميرزا حبيب اله..١٣٥٨ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة. تهران: مكتب الإسلامية.